●،، بالرغم من أن الهدايا والورود من أبرز الممارسات الاحتفالية لغالب الناس في أماكن كثيرة – بل هي أحد رموز العيد وتعبيراته الحسية الجميلة التي تعشعش في ذاكرة ومجتمع العيد – إلاّ أنها بالنسبة لنا ماتزال مجرد مشاهد تزين واجهات المحال التجارية باحثة عن أياد تتلقفها بحنو ودفء على الأقل في الأعياد.

ففي مجتمع متحاب ويضج بالمحافظة كمجتمعنا يعتبر العيد رحمة ومودة وفرح – صلة رائعة لفك قيود النفس لتُقبل على التواصل والبذل.

لكن بطرق شتى لن تكون أسواقنا المكتظة بالزبائن مرتعاً للتسوق من أجل شراء هدايا معبرة، رغم أننا بدعوة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم – للتهادي – سباقون لقوله: «تهادوا تحابوا»

تحقيق/ معين النجري - عبدالله محمد حزام

تقاليد: فضّل تقديم ورد لزوجته في مناسبة فنعتته «بالخواجة»

تجار الورود: الاقبال على الورود يتراجع..والأعياد الدينية مناسبات كساد

لكن ماهو الايقاع السائد الآن؟

ينتصر الغالبية منا للتهادي بالنقود كما يحدث في الاعياد – مايسمى بالعيدية – قال عادل النهاري – صاحب مكتبة؛ النقود هي الأولى بالتهادي – لأن بالمال يستطيع المُهدى اليه شراء مايحتاجه.

أيضا كثيرون يعتقدون أن التهادي بما يحمل المعنى والمدلول نوعا من الرومانسية بل ذهب البعض لوصفه بالتقليد الغربي الدخيل علينا – حسنا هؤلاء يتحدثون عن ذلك كمن لم يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الجانب.

إنهم من المناوئين «للهدية» بمفهومها الغربي – لكن بالتأكيد ليست الهدية درجة من درجات الميوعة العاطفية كما يفهم بعضهم في عيد الحب مثلا.

الهدية.. وصدق المشاعر

حين يطل علينا مجتمع العيد تبدو الهدية أكثر مادية بالرغم من أن الهدية غير النقود أكثر تعبيرا واحساسا وبطريقة صريحة تتجاوز أحيانا حد المعقول.

وعن ذلك تدافع ايمان زهدي – طالبة ماجستير – رياضيات تقول: للهدية وقع خاص أكثر من النقود فالتهادي بالنقود مثلا بين الاغنياء – أمر جاف – ولايعبر بصدق عن المشاعر.

ربما صح قولها – لكن هناك من يريد تقديم توضيح أكثر، أمثال أمل الجبري – اخصائية نفسية تقول: النقود بالرغم من أنها تعودت أن تحمل فرح العيد وتتجول بها على الايدي الصغيرة والمنتظرة إلا أنها في كثير من الأحيان نقود متحركة في دورة تفتقر الى العدالة يقدم فيها الفقير للغني، ويحرم فيها الفقير من أدوات الحلم الجميل.

ثقافة نقدية

إننا مطالبون الآن بالالتفات الى الصغار أكثر – فالعيد براءتهم الحالمة ونشوتهم المشرقة بلون اللعبة وطعم الحلوى لا برنين النقود.

إنه لأمر سيء أن يستمر الغالبية في زرع ثقافة النقود في الصغار بدلا من زرع ثقافة الهدية كاللعبة أو الشوكلاتة – تماما كما نشاهد على شاشات التلفاز ونقرأه في كتب علم النفس والاجتماع.

نحن أكثر تقصيرا الآن من أي وقت مضى – وهذا ماتقوله بالضبط أمل الرمادي – مسؤولة النشاط الثقافي بجامعة صنعاء وفي ذات الوقت تستغرب من عدم اهتمام الآباء المتعلمين، أو على الاقل الاستفادة من تقاليد الاجداد التي كانت نظرتهم للهدية أكثر سموا منا الآن.

لقد كانت في زمن الاجداد كذلك – كان علي جمعان ٧٥ عاما يذرع مسافة تربو عن ٣٠ كيلو مترا تقريبا في العيد بغية زيارة شقيقته المتزوجة خارج مديريته كي يحمل لها هدية العيد التي لم تكن نقودا بالطبع – إنها أماني دافئة ومشاعر تواصل غاية في السمو يقول – جمعان: كنا نحمل الكعك والزبيب والتمر بالاضافة الى باقات الكادي الطرية والفل المحلي الاصفر.

جفاف مشاعر

يتحسر بحرقة على تلك الأيام ويهاجم الحاضر ويقول: انعدم الاخاء والتواصل وشحة صلة الرحم مؤكدا أن هناك من يبعث بالعيدية لأقاربه وأرحامه مع أحد المسافرين أو يرسل رسولا لذلك أحيانا رغم قرب المسافات وسهولة التنقل..

إنها النقود والتقاليد أحيانا تجعل المناسبات السعيدة لحظات تعسة على سبيل المثال .. حتى الفقراء يعمدون لحرمان أبنائهم من ملابس جديدة وهدايا عيدية كشراء لعبة أو زيارة حديقة تحسباً لجمع النقود وتقديمها في العيد للأقارب ليتخلص من همس الناس وعتابهم متظاهرا بالقدرة واليسار.

فليس من العدل أن يستدين الفقير كي يؤدي واجبه تجاه أقاربه الميسورين ويقدم على سرقة الفرحة من قلوب أبنائه حين يسطون على هديتهم ويحرمهم من هدايا العيد التي ينتظرونها عند كل عودة له الى المنزل.

علم النفس

إن الآثار السيئة المترتبة على عدم التهادي بين الكبار والصغار سيئة للغاية فثقافة النقود حين تتجذر كثقافة للتواصل مع الطفل لاتعطى مؤشرات جيدة حين يكبر بل ستصبح طاغية، والنفس دائما ماتحب التشبث بالمال وتحرص على عدم انفاقه ،كذلك الكبار تتصلب مشاعرهم تجاه الاقارب والاصدقاء لأن الاحساس الذي يراودهم تجاههم مثقل بالالتزامات المادية.

وينصح علماء النفس بالتعود على التهادي بين الاصدقاء وحتى الاقارب الميسورين ببطاقات التهاني والورود لأنها تعبيرية ولاتكلف الكثير كما أنها تعزز عملية التواصل وتجعلها متجددة دوما.

لقد حاول رياض – بائع ورود فعل ذلك قال: قدمت لزوجتي في إحدى المناسبات وردا لكنها لم تستسغ ذلك واضاف: لقد نادتني بعدها بالخواجة رغم أنها متعلمة تعليم متوسط .

وتابع: شعرت بالحرج كثيرا وقررت عدم المجازفة بذلك حتى في زيارة المرضى الى المستشفى.

في هذه الاثناء تذكر موقفاً مشابها لأحد أصدقائه كان يدرس الماجستير في الميكروبيولوجي – في هولندا –وبعدعودته علم بمرض صديق فزاره الى المستشفى حاملا باقة ورد نسقها له صديقه رياض.

قال رياض .. كان صاحبي نشازا وسط الزوار، فأكياس الفواكه والعصائر والاطعمة تتقاطر من كل مكان بينما صاحبي يحمل باقة ورد لقد كانت لفتة جميلة لصاحبي لكنها لم ترق لكثيرين ممن زاروا المريض.... بالتأكيد سينعتونه بالخواجه كما فعلت زوجتي.

ثقافة غائبة

لايوجد في ثقافتنا إرسال باقة ورود الى صديق بمناسبة فرائحية.

مازلنا غير قادرين على فهم تلك اللغة التي تتعامل بها الشعوب عبر ألوان وأحجام الورود المهداه والاوقات المناسبة والتعبيرات المخزونة في تلك الاوراق الملونة الصغيرة.

– فهمي عبدالله – صاحب محل لبيع الورود قال: «لايوجد في مفردات ثقافتنا مكان لهذا الكائن الجميل» سوق الورد والاقبال على الورد في العاصمة تراجع بشكل كبير واغلقت الكثير من المحلات خلال العامين الماضيين. ربما بدأ الناس يفكرون بأشياء أخرى وربما الحالة المعيشية لها سطوتها على أفكار الفرد وتصرفاته.

محمد السلمي لم يفكر يوما ما بشراء وردة ،لقد استغرب من وجود أماكن تبيع مثل هذه السلعة «هل توجد محلات لبيع الورد الطبيعي؟».

المحلات القليلة المندسة في بعض الشوارع المتقاة بعناية من قبل اصحابها لاتعرض الكثير من الورود وربما تعجز عن توفير طلبية محترمة لأحد الاجانب اذا مافكر في إقامة حفلة في سفارة بلده. إنهم يخسرون الكثير وفي سبيل توفير تلك الأنواع التي يظنون أنها تلاقي إقبالاً عند الشباب وفي الاعراس ولذلك فهم لايجازفون باقتناء كميات كبيرة ومتنوعة من الورود.

مزارع ورد

معظم الورود متشابهة في كل المحلات التي زرناها في العاصمة يبدو ان مصدرها واحد.

سبعة أنواع من الورود عنوان بارز لجميع المحلات «القرنفل – الليوم – الزنبق – الجزيرة – اللوديان – عصفور الجنة – الجوري» معظم هذه الانواع غير مطلوبة لكن التجار يضطرون لشرائها لتصل الكمية الى الحد الذي يمكنهم استيرادها. حيث كان يستورد معظم الورد الذي يباع في الاسواق من سوريا. عملية نقل الورد كانت تحتاج الى عناية وحرص في التعامل ولذلك فقد كان يتعرض جزء منه الى التلف وجزء آخر يصعب الحفاظ عليه لفترة طويلة وكانت النتيجة خسارة محتمة تحكم على الكثير من المحلات بالاغلاق والبحث عن سلعة أخرى.

في الفترة الاخيرة فكر بعض المهتمين بهذا النبات النادر زراعته هنا ونجحوا في تهيئة بعض الأراضي لزراعته.

قال فهمي عبدالله الذي يملك مزرعة في همدان «انه يحتاج الى درجة حرارة معينة ويحتاج الى أسمدة ومبيدات وحماية من الحشرات والنباتات الأخرى».

فهمي نجح في انشاء مزرعة للورود وتوقف عن استيرادها من سوريا قال: «جميع الورود التي ترونها معروضة في المحل هي من المزرعة التي انشأناها» ربما تكاليف زارعته والاعتناء به أقل بكثير من استيراده من بلاد الشام. لقد استوردوا الشتلات من هولندا الدولة الاوروبية المشهورة بزراعة الورود وتصديره الى العالم.

ورد مناسباتي

لم يكن تجار الورود متحمسين جدا لمناسبة عيد الفطر المبارك فهم يعلمون من تجارب سابقة أن الإقبال على الورود متدن في المناسبات الدينية «لا أحد يفكر في اهداء الورود في الاعياد الدينية» قالها أحد البائعين وهو يرش قطرات من الماء في جذوع بعض الازهار. وحين سألناه عن مواسم الورود أجاب بحزن «قبل سنتين كان هناك إقبال على الورود، الآن مناسبات فقط» والمناسبات التي تحدث عنها البائع كانت أهمها رأس السنة حيث تجد اناساً كثيرين يتهادون الورد «في رأس السنة ويزورنا كثير من الاشخاص الغربيين والعرب واليمنيين لشراء الورد».

موسم آخر يشهد إقبالاً على نوعية من الورود .. الجوري الاحمر حين يأتي «فلنتينو» ما يعرف بعيد الحب حينها يعرف الكثير من الشباب طريقهم الى محلات بيع الورود .. يبحثون عن اللون الاحمر .

ربما يحملون الورود الكثير مما يريدون البوح به اصحاب محلات بيع الورود يدعون كثيرا في هذا اليوم لـ «فلنتينو» ويظلون في ترقب لمواسم تخرج الطلاب من الجامعة حيث يشهد سوق الورد نوعاً من الانتعاش فالفتيات يفضلن اهداء زميلاتهن وروداً بيضاء في حفل تخرجهن وبعض الأباء يهدون بناتهم باقات ورود في تخرجهن لذلك اصحاب المحلات يهتمون كثيرا بالورود البيضاء في موسم التخرج ومواسم الاعراس حينما يفضل الميسورون الورود البيضاء حول «كوشة» العروسين.

أسعار

لن تجد أسعاراً موحدة للورود خاصة بعد أن بدأ البعض في زراعتها في البلاد لكن في الغالب لايهتم المشتري للسعر الذي سيدفعه لانه لايمثل شيئاً بالنسبة له بعد أن يكون قد اقتنع بالورود الطبيعية ليقدمها هدية الى عزيز وفي أغلى حالاتها تصل قيمة وردة الجوري الحمراء التي تحظى باقبال أكثر من غيرها الى ١٥٠ ريالا فقط .

زراعة الورد في البلاد خطوة جيدة ومشجعة ساعدت على خفض التكاليف وتجنب التلف لكننا سنصمت باستحياء إذا نظرنا الى الكميات التي تنتجها بعض الدول فالاكوادور مثلا تنتج ثلاثين مليون وردة شهريا تضم أكثر من سبعين صنفاً ولوناً من الورود .

وقد انتهت في الآونة الاخيرة إمارة دبي من انشاء المرحلة الأولى من «مركز زهور دبي» هذا المشروع سيتمكن في مرحلته الأولى من تداول «١٥٠٠٠٠ طن» من الزهور .

طوق العادات

عموماً هكذا هي ثقافتنا التي تحتاج الى من ينتشلها من قعر العادات والتقاليد «الجافة» إنها بحاجة الى من يكسر الطوق الاجتماعي المحكم حولها .

عندها ستصبح الورود والهدايا رموزاً احتفالية أكثر إشراقا وأقل كلفة على الاقل بين الميسورين ..

علم النفس:

مشكلة الكبار أنهم يغرسون في نفوس الصغار ثقافة النقود كبديل للعبة والحلوى كهدية